هم... ونحن!

يضحكني كثيراً أن ينبري أحد «مسؤولينا» الذين قلما يجيبون، مرّة كل أسبوع للقول ان «نظيره» الفرنسي أو المصري.. التمس منه رأيه حول مسألة ما.. يؤسفني أن أشاهد على قنواتنا التلفزيونية وزيراً يؤكّد أمورا لا قبل له بها ولا علم ولا مَن يحزنون، في حين ان زميله في وزارة شقيقة يُبدي تحفظا ما على الرغم من تمتعه بكل الرجولة وقوة الاحتمال ومعاني الحمية والمروءة وحبّ الإصلاح.

وزارة خارج الحدود يعتبر المسؤول عنها، انها وسيلة لتطبيق القانون ونشر الوعي وتوفير الحماية للجميع، ومثيلتها في بلادنا أشبه ما تكون بمقعد وثير في برج عاجي ناء عن عيون ذوي الحاجات وطلاب العدالة الاجتماعية الشاملة.

ترى في بلاد النّاس مسؤولاً على سجيته السمحة حين تقابله، وتشعر بانك أمام إنسان لم يغيّره المنصب، بل ابقاه على أصالته وأريحيته الفطرية ولطفه المتالق بالأدب الرفيع وسمعته العطرة بأريج مقطر من أزهار المكرمات. وتعاني في ربوعنا بل مجاهلنا، الأمرّين في سبيل الاجتماع بأحد المتربعين على عرش الجهل والتجاهل والتجهيل.

وراء كل رجل عظيم في بلادنا أمة أو مجتمعات بائدة أحيانا، وحسبُك ان تتقفّى خطى سياسي أجنبي ليتارج منه الطيب ويسكر الشميم وينطلق لسانك إعجاباً بالإنسان الحرّ الكريم.

زعماء عندنا يتقاذفون التهم نفسها والشتائم عينها ولو أمام الشاشة الصغيرة، ويسعون وراء مصالحهم الشخصية أو الفئوية وإن على حساب مصلحة الدولة العليا، ولدى الإنسان الغريب المسؤول عموما كبر واهتمام بشؤون مواطنيه وشجونه، فتراه يعمل لعونهم وإسعافهم إذا تعرّضوا للخطر، بل انه يستدرك المتاعب قبل حدوثها.

الشباب ركن المجتمع، وقلبه النابض بالحياة، وبما تبتغيه الحياة، من ألوان القوة والثبات. فكل حركة إصلاحية تحت هذه السماء الرحبة، لا تقوم إلا على سواعد الشباب، ولا تسمو وتزدهر إلا بفضل عزيمتهم وصمودهم أمام الشدائد والخطوب. ولكن، شيء من المنهجية يا شباب، وكذلك شيء من العودة إلى ينابيع الحكمة وإلى أصحاب الجهاد الفكري ورعاة العلم والأدب والصحافة الهادفة إلى الحق وأسباب المواطنة المنزّهة!..

د. جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه